الديني والسياسي في انتقال الخلافة الى الامويين (المسعودي آنموذجاً)

Religious and Political Factors in the Transfer of the Caliphate to the Umayyads (Al-Masudi as a Model)

د. عبد الستار إسماعيل عبد الرحمن

جامعة الموصل / كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ

المستخلص:

استهدفت الدراسة تسليط الضوء على الاتجاهات التي قامت عليها السياسة الاموية. اولهما الاتجاه السياسي القائم على اعتماد الخلافة القوبة القبلية في الشام واصطناعها وأتلافها بالعطاء والامتيازات ولكسب ولائها من جهة ولاعتمادها قوى ضاربة لتحقيق اهدفها لا سيما على الصعيد الداخلي. وثانيهما الاتجاه الديني الذي قام على استحداث الامويين النظرية الجبرية المستمدة من المشيئة الألهية لتبرير شرعية خلافتهم التي سلكت فيها اتجاهات سياسية اخرى لاسيما آل البيت عليهم السلام والصحابة الكرام وذلك من خلال وجهة نظر المؤرخ المسعودي في كتاباته المنطلق من وجهة نظر الرآي الاخر في تاريخ الخلافة الاموية.

ومثلت الخلافة الاموية حدثاً مهماً وكبيراً في تاريخ الدولة العربية الإسلامية منذ نشأتها في عهد الرسول (ﷺ) ومروراً بعصر الخلافة الراشدة. حيث بنيت الدولة الاموية على أسس قوية آرسى دعائمها مؤسسها الأول الخليفة معاوية بن ابي سفيان (٤١-٦٠هـ/٦٦١- ٦٨٠ م) والذي كان محباً للرئاسة والذي استطاع ان ينتزع الخلافة من الحسن بن علي (رضي الله عنه) والذي تنازل عنها حفاظاً لدماء المسلمين عام (٤١-٦٠هـ) في مسجد الكوفة وفق شروط معلنة ابرزها ان تعود الخلافة الى الحسن بن علي (رض) بعد وفاة معاوية بن ابي سفيان وان يعمل بكتاب الله وسنة رسوله وان يحافظ معاوية على أرواح واملاك المسلمين. إلا ان معاوية وبعد مبايعته وتسنمه للخلافة في (عام الجماعة) تنصل عن اهم شروط وبنود الاتفاق بينه وبين الحسن (رضي الله عنه) وهو عودة الخلافة الى الامام الحسن بن علي

(رض) من خلال احداث معاوية منصب ولاية العهد لأبنه يزيد وهكذا سارت الأمور مع بقية خلفاء بني أمية سواء في الفرع السفياني او المرواني.

الكلمات المفتاحية: الدين – السياسة – الخلافة – المسعودي – السلطة.

Abstract:

The Umayyad Caliphate was a major event in the history of the Arab Islamic state since its inception in the era of the Prophet (PBUH) and through the era of the Rashidun Caliphate. The Umayyad state was built on strong foundations laid by its first founder, Caliph Muawiyah ibn Abi Sufyan (41-661 AD), And who was ambitious and who was able to seize the caliphate from Hasan ibn Ali (RA), who abdicated in 41 AH for saving the Muslim's blood in the Kufa mosque in accordance with the following conditions:

- That the caliphate would return to the Ahl al-Bayt after the death of Muawiyah ibn Abi Sufyan.
- That Muawiyah would act in accordance with the Book of God and the Sunnah of His Messenger.
- That Muawiyah would protect the lives and property of Muslims.

However, after Muawiyah assumed the caliphate after his pledge of allegiance in the year of the community (am Al-Jamaah), he withdrew from one of the most important conditions of the agreement between him and Hasan (RA), which was the return of the caliphate to the Ahl al-Bayt, by appointing his son Yazid as his successor. This is how things went with the rest of the Umayyads, whether in the Sufyanid or Marwanid branches.

Keywords: religion - politics - caliphate - Al-Masoudi - power.

المقدمة:

شهدت الخلافة العربية الإسلامية تطورات مهمة وخطيرة في المجالات السياسية والإدارية والعسكرية وتجسد ذلك في أيام الخلافة الاموية التي اسسها وأرسى اسسها وبناها الخلفية معاوية بن ابي سفيان(٤١-٦٠هـ/٦٦١-٦٨٠ م).

وكتب الكثير من المؤرخين عن الجانب السياسي وانتقال الخلافة من الراشدين الى الامويين ومن هؤلاء أبو الحسن علي ابن الحسين ابن علي المسعودي المتوفي سنة (٣٤٦هـ/٩٥٧م) وهو ذلك العالم والمؤرخ والجغرافي والرحالة والذي سمي بالمسعودي نسبة الى نسبه للصحابي عبد الله بن مسعود ويعد المسعودي من ابرز الكتاب والمؤرخين ونشأ في بغداد وتعلم فيها ثم غادرها الى بلاد فارس وكرمان ثم جاب بلاد الهند. وله العديد من المؤلفات منها التنبيه والاشراف ومروج الذهب وأورد المسعودي الكثير من الروايات التاريخية عن العصر الاموي في كتابية التنبيه والاشراف ومروج الذهب ومنها فيما يخص موضوع انتقال الخلافة الى الامويين. ولذلك ارتأيت ان اكتب دراسة عن الجانب الديني والسياسي في انتقال الخلافة الى الامويين والاعتماد على المسعودي كنموذج في هذه الدراسة.

وقد اشار البحث الى مواضيع مهمة تطرق اليها المسعودي منها موقف المسعودي من تسلم الخليفة معاوية بن ابي سفيان الخلافة وقبل ذلك جهوده وعزمه ومحاولاته للحصول عليها الخلافة ومنذ استشهاد سيدنا علي بن ابي طالب (عليه السلام) وموقفه مع سيدنا الحسن بن علي (ﷺ) فيما بعد حتى استطاع انتزاع الخلافة من الحسن (ﷺ) وانقلابه على العهد الذي الزم نفسه به وهو عودة الخلافة الى البيت العلوي وحسب ما ذكره المسعودي, وكان انقلابه ونقضه للعهد من خلال توليه ابنه يزيد لولاية العهد, اختلف المسعودي مع غيره من المؤرخين في ذكر عبارة (الصلح بين الحسن ومعاوية) بدلاً من (عام الجماعة) وان المسعودي لم يعترف بمشروعية الخلافة لمعاوية بن ابي سفيان. ناهيك عن إدانته لأخطاء وتجاوزات معاوية بن ابي سفيان.

واتهم المسعودي الخليفة معاوية بن ابي سفيان باستخدام أسلوب الترهيب والترغيب عند اخذ البيعة لابنه يزيد وتحويله مسار نظام حكم الدولة العربية الإسلامية من مسار النظام الشوري الى النظام الوراثي. وكان ذلك من اشد انتقادات المسعودي للخلفية معاوية بن ابي سفيان.

ومن جهة أخرى كان للمسعودي موقفاً اخر تجاه معاوية وهو معارضته في موضوع ولاية العهد ويذكر المسعودي بأن فكرة ولاية العهد لم تكن حالة آنية بل كان مخطط لها مسبقاً من خلال اخذ معاوية ولاية العهد لأبنه يزيد من وفود القبائل العربية التي وفدت اليه الى الشام اما في موضوع ولاية العهد كان هناك اختلاف بين وجهات

نظر المؤرخين والمحدثين بين مؤيد ومعارض لهذه الأفكار والروايات ومن جهة أخرى كان للمسعودي موقف من خلال رواياته وكتاباته عن الخلافة الاموية وخاصة في كتابية التنبيه والاشراف ومروج الذهب حول موضوع انتقال الخلافة من البيت السفياني الى البيت المرواني بعد وفاة اخر خليفة من من خلفاء البيت السفياني وهو معاوية بن يزيد بن معاوية (معاوية الثاني) (٦٤هـ-٦٨٣م) وحصول فراغ سياسي وعدم وجود رئيس للدولة ومن ثم عقد اجتماع الجابية سنة (٦٤هـ-٦٨٣م) الذي تم فيه مبايعة مروان بن الحكم خليفة للمسلمين... وعد المسعودي بيعة مروان بن الحكم كرهاً لانها انتزعت الخلافة من الفرع السفياني, لذلك لم يكن متعاطفاً مع الخلفاء المتعاقبين من بني مروان, وجاءت توصيفاته لسياساتهم وخصالهم قاسية , حيث خالف فيه ماورد عنهم من روايات في المصادر التاريخية, بما يؤشر نظر الاخر في خلفاء بني امية.

سيرة المسعودي:

هو ابو الحسن علي بن الحسين بن علي بن عبدالله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٥/ ج١) ولقب بالمسعودي الهذلي نسبة الى جده عبدالله بن مسعود الهذلي الصحابي الجليل (منيع، ١٩٥٧، صفحة ١٠/ ج٣)*. ولد المسعودي في العراق سنة (٢٨٣هـ/٨٩٦م) (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٤٨٠/ ج٤). والدليل على ذلك قول المسعودي" واوصت الاقاليم الاقليم الذي ولدنا به وأن كانت الايام انأت بيننا وبينه وساحقت مسافتنا عنه ولدت في قلوبنا الحنين اليه اذ كان وطننا ومسقطنا هو اقليم بابل (ابن النديم، ١٩٩٧م، صفحة ٢١٠) . اما عن وفاة المسعودي فكانت سنة (٣٤٦هـ/٩٥٦م) (الذهبي، ١٩٦٠م، صفحة ٩٦٩/ ج١٥) . وعن حياة المسعودي فقد عاصر الخلافة العباسية (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٥٤/ ج٤). وركز في حياته على الاهتمام بالجانب العلمي وتتلمذ على يد عدد من الشيوخ وكبار العلماء في عصره حيث اخذ منهم المعارف وعلم التاريخ حتى اصبح في الصف الاول من العلماء (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ١١٩/ ج٣). ومن ابرز الشيوخ الذين تتلمذ على ايديهم هو ابو بكر محمد بن خلف بن وكيع المتوفي سنة (٣٠٦هـ/٩١٨م) (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ١٦٣/ ج٥). اضافة الى عدد اخر من العلماء. وبما أن طالب العلم يحتاج الى الاطلاع على مصادر العلم والعلماء فقد احتاج المسعودي الى القيام بالرحلات العلمية حتى يكون ملماً بكل ماهو جديد من العلوم آنذاك لذلك سعى الى القيام برحلات علمية كثيرة لتحقيق ما يصبو من طلب العلم وساعده في ذلك تشجيع العلماء من قبل الدولة العباسية اضافة الى عدم وجود حدود او حواجز تمنعه من الوصول الى اي مكان يرغبه وفي كافة ارجاء الولايات الاسلامية (ابن خلدون، د.ت، صفحة ٤٣٤). اما عن مؤلفات المسعودي ومصنفاته فهي كثيرة ولكن

* عبدالله بن مسعود الهذلي ابو عبدالرحمن وهو احد كبار الصحابة (رضي الله عنهم).

للاسف ان معظم مؤلفاته قد فقدت ولم يبقى منها الا القليل ومن ابرز هذه المؤلفات (مروج الذهب, ومعادن الجوهر) و(التنبيه والاشراف) و(اخبار الزمان وعجائب البلدان) و (الملوك واهل الديارات) (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ١٠/ ج١) و (مقاتل الفرسان العجم) (الحنبلي، ١٩٨٦، صفحة ٢٣/ ج١) وكان السمعودي مؤلفات خاصة بالديانات من ابرزها (المقالات في اصول الديانات) (المسعودي، ١٩٣٨م، صفحة ٨) و (نظم الادلة في اصول الملة) (المسعودي، ١٩٣٨م، صفحة ١٣٧) و(الابانة في اصول الديانة) (المسعودي، ١٩٣٨م، صفحة ١١١) و(المسائل والعلل في المذاهب والملل) (المسعودي، ١٩٣٨م، صفحة ٣).

وقد اتبع المسعودي اسلوب ومنهج خاص في تأليف كتبه حيث جمع بين التاريخ والجغرافيا (المسعودي، ١٩٣٨م، صفحة ٣) وخاصة في كتابيه (مروج الذهب والتنبيه والاشراف) وانفرد المسعودي عن غيره من المؤرخين في كتابه (مروج الذهب) والذي يتكون من عدة ابواب حيث قال عن هذا الكتاب (الخربوطلي، د.ت، صفحة ٣٩)

"وعدد ما اجتمع من جميع ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الابواب مائة واثنان وثلاثون باباً" (العزاوي، ١٩٨٠، صفحة ١٠٩) واتبع السمعودي في كتاباته المنهج الحولي في سرد الروايات على اساس الاخبار والحوادث القديمة (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٤٩/ ج١) فيما كان منهجه الموضوعي على اساس تدوين الحوادث بالسنين (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٢٧/ج ٣) ويعتبر كتاب التنبيه والاشراف من اخر كتب المسعودي التي الفها قبل وفاته والذي ذكر فيه الكثير مما ورد في مؤلفاته السابقة (ابن النديم، ١٩٩٧م، صفحة ٢٤٨) وأن المسعودي ومن خلال كتاباته قد استخدم اللغة العربية السلسة التي تسهل على القارئ اضافة الى تفسيره للكلمات الاعجمية الى العربية. وكذلك ركز على الاستشهاد بالايات القرانية والاحاديث النبوية الشريفة وابيات الشعر العربي في مؤلفاته (ابن النديم، ١٩٩٧م، الصفحات ١٦-٣٥).

موقف المسعودي من انتقال الخلافة الى الامويين

١- سعي معاوية الى خلافة المسلمين

معاوية بن ابي سفيان (٤١-٦٠هـ/٦٦١-٦٨٠م) بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن مناف القريشي الاموي أبو عبد الرحمن اسلم مع ابوه في فتح مكة وشهد حنيناً وكان من المؤلفة قلوبهم وكان احد كتاب الوحي للرسول (صلى الله عليه وسلم) (ابن كثير، ١٩٧٢م، صفحة ٢٣/ ج١). كان معاونة بن ابي سفيان يطمح ويتطلع الى السلطة والوصول الى الخلافة بأية وسيلة كانت وقد روي عنه "لازلت أطمح بالخلافة منذ ان قال لي الرسول محمد (ﷺ) "يامعاوية أذا ملكت فأحسن (ابن عبد ربه، ١٩٣٥م، صفحة ١١٢/ ج٥) وبذلك زاد اصراره على محاولة الحصول على الخلافة. ومنذ ان اصبح معاوية والياً على الشام سنة (١٨هـ/٦٧٩ م) اخذ بالتقرب من أهلها.

وكما ذكر المسعودي (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٣٦٠/ ج٢) ان معاوية بن ابي سفيان بلغ من احكامه للسياسة وأتقانه لها أجتذابه قلوب خواصه واعوانه. ويذكر جواد علي (الطبري، ١٩٦٥م، صفحة ٩٠/ ج٥) ان اهل الشام عرفوه والفوا سياساته اثناء ولايته الطويلة عليهم وانه احسن اليهم وكانوا اهل حضارة وتجربة للملك ورثوها عن دولتهم القديمة, وعلى أثر تثبيت شخصيته وكسب اهل الشام بدأ معاوية بمعارضة خلافة علي بن ابي طالب (عليه السلام) مستغلاً التطورات السياسية التي أعقبت استشهاد الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٢٩٢/ ج٢) بمثابة نقطة تحول على الصعيد السياسي بين العراق والشام حيث أدت هذه الحادثة الى اشعال الحرب بين معاوية والخليفة علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) (المسعودي، ١٩٣٨م).

وبالرغم من دعوة الخليفة علي (رضي الله عنه) الى السلم وفض النزاع الدائر واتخاذ الحكمة والدخول في طاعة المسلمين الا ان معاوية أصر على موقفه تجاه الامام علي (رضي الله عنه) والمطالبة بدم عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وبالرغم من الرسائل التي أرسلت من العراق الى معاوية والتي تدعوه الى التهدئة وتوحيد الصف الإسلامي وقولهم في نفس الوقت "السيف بيننا وبينك او يهلك الذي عجز منا" (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٢٩٢/ ج٢) مع كل هذا لم يستجب معاوية لهذه المراسلات. وفي رواية كان معاوية بن ابي سفيان محباً للرئاسة مشغوفاً بها مما جعله يتمسك بموقفه تجاه بيعه الامام علي (رضي الله عنه) وتمكنه بالمطالبة بالخلافة. وحصيلة لكل هذه التطورات حدثت معركة صفين سنة (٣٧هـ/٦٥٧ م) بين جيش الخلافة بقيادة الخليفة علي (رضي الله عنه) (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٢٩٣/ ج٢) والجيش الشامي بقيادة معاوية بن ابي سفيان والتي كانت معركة دامية ذهب ضحيتها أعداد كبيرة من الشهداء من كلا الطرفين بلغ حوالي سبعون الف مقاتل (المسعودي، ١٩٣٨م، صفحة ٢٥٦) وكان موقف المسعودي واضحاً جداً من هذا الحدث الجلل حيث أشار الى ان مطالبة معاوية بدم عثمان (رضي الله عنه) هو مجرد خدعة دبرها معاوية مع عمرو بن العاص الهدف منها هو اثارة الامة ضد الامام علي (رضي الله عنه) بخلع الطاعة والخروج من جماعة المسلمين بهدف الحصول على السلطة وأبعاد الامام علي (رضي الله عنه) عن الساحة السياسية (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٣٠٥/ ج٢) ونتيجة الخدعة المرسومة من قبل معاوية وابن العاص وحسب قول المسعودي فأن ابن العاص واثناء المعركة قام برفع المصاحف على رؤوس الرماح بعد ان يأس معاوية من تحقيق النصر مما أدى بالخليفة علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) الى وقف القتال فوراً احتراما للقران الكريم وحقناً لمزيد من دماء المسلمين (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٣٠٤/ ج٢) وبالتالي وبسبب رفض قادة الامام علي (رضي الله عنه) وقف القتال ما ادى الى انشقاق هؤلاء عنه والخروج عن طاعته احتجاجاً على ذلك. ونتيجة لوقف القتال اعتبر معاوية نفسه منتصراً في المعركة وعاد الى الشام (المسعودي، ١٩٣٨م، صفحة ٢٠٦) وحول ذلك فقد كان لصاحب كتاب الامامة والسياسة (الدنيوري، ١٩٦٣)* رأي آخر حول وقف القتال مؤكداً بأن

* دومة الجندل: سميت بهذا الاسم نسبة الى حصن بناه دوماء بن اسماعيل, أما الجندل فهي الحجارة, وتقع قرب تبوك مابين المدينة المنورة ودمشق.

وقف القتال جاء بشكل طوعي من قبل الخليفة علي(ﷺ) لوقف أراقة المزيد من دماء المسلمين من كلا الطرفين المتصارعين. واتفق مع رأي صاحب كتاب الامام والسياسة في موقف الامام علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) حول وقف القتال حقناً لدماء المسلمين (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٣٠٤/ ج٢).

كما اتهم المسعودي (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٣٠٤/ ج٣) ابن الاشعث بالتآمر مع معاوية وكذلك الضغط على الامام علي في اختيار أبو موسى الاشعري ممثلاً عنه في المفاوضات بين الطرفين. في عملية التحكيم سنة (٣٨هـ/١٦٥٨م) (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٣٠٤/ ج٢).

وقد اسهب المسعودي (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ١١٠/ ج٢) في ذكر مسألة التحكيم والتعرض لمجريات وتطورات اجتماع الحكمين في دومة الجندل وهما كل من عمر بن العاص ممثل معاوية وأبو موسى الاشعري ممثل الخليفة علي (ﷺ) حيث قال أبو موسى الاشعري أيها الناس انا قررنا ان نخلع علي ومعاوية ألا وأني خلعت علياً كما أخلع عمامتي. فخلع عمامته. وذكر ابن العاص كلام يختلف عن ماذكره أبو موسى الاشعري حول خلع علي (ﷺ) ومعاوية. على كل حال فقد اختلفت المصادر التاريخية في ورود روايات عن الموضوع أعلاه.

وبذلك حقق معاوية وعمرو بن العاص نجاحاً بارزاً على الصعيد السياسي بفضل عملية التحكيم. وبعد هذه الاحداث ظهرت تطورات مهمة ساعدت معاوية بن ابي سفيان في المضي في مشروعه للوصول الى الخلافة واهمها استشهاد الخليفة علي (ﷺ) في مسجد الكوفة سنة (٤٠هـ/٦٦٠م) على يد عبد الرحمن بن ملجم وبذلك تعزز موقف معاوية وسهل له الوضع للانتقال من وضع الدفاع الى وضع الهجوم وتعزز موقفه السياسي والعسكري اكثر. وبعد استشهاد الخليفة علي (ﷺ) وقرار الشورى بين الصحابة وأحقية الخلافة فقد تسلم الخلافة الحسن بن علي (ﷺ) (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٣١٠/ ج٢) فقد أشار المسعودي (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٣٧٥/ ج٢) الى عدم اعتراف معاوية بن ابي سفيان بخلافة الحسن بن علي ومحاولة تشديد العداء له (اليعقوبي، ١٩٧٣م، صفحة ٢٣٥/ ج٢) وعلى الرغم من موقف معاوية بن ابي سفيان هذا وتجهيز جيشاً شامياً متجهاً صوب العراق إلا ان موقف الحسن (ﷺ) ظل سلمياً ومحاولاً حل الازمة بكل الطرق تجنباً لأراقة المزيد من الدماء (المسعودي، ١٩٣٨م، صفحة ٢٥٧).

ونتيجة لكل هذه التطورات التي حصلت والتي كانت من صالح معاوية بن ابي سفيان فقد أستطاع معاوية وبقوة السيف انتزاع الخلافة من الحسن (ﷺ) واجباره على التنازل عنها وتم ذلك في مسجد الكوفة سنة (٤١هـ/٦٦١م) وسمي ذلك العام الذي تنازل فيه الحسن (ﷺ) بالخلافة لمعاوية بعام الجماعة (الدينوري، ١٩٨٩، الصفحات ٢١٧-٢١٩) وكما يصف المسعودي (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٩ /ج٣) بالقول ان الحسن (ﷺ) هو اول خليفة يخلع نفسه عن الخلافة. وبذلك يعتبر الحسن بعمله هذا هو مصدر السلام و إيقاف إراقة دماء المسلمين.

موقف المسعودي من تسلم معاوية الخلافة

بعد احداث وقعة صفين ومانتج عنها من خروج المعارضين لوقف القتال عن سلطة الامام علي (ﷺ) وهم الخوارج ومن ثم استشهاد الخليفة علي (ﷺ) سنة (٤٠هـ/٦٦٠م) الامر الذي دفع اهل الكوفة الى مبايعة الحسن بن علي (ﷺ) (المسعودي، ١٩٣٨م، صفحة ٢٦٠) والذي قبل مبايعتهم شريطة ان يلتزم الناس بالسمع والطاعة للحسن في كل الطروف سواء كانت سلم ام ظروف حرب وقوله لأهل الكوفة (انكم سامعون مطيعون تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت) (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٩/ ج٣) الا ان معاوية ابن ابي سفيان لم يعترف بمبايعة وخلافة الحسن مطالباً إياه بالتنازل مع تشديد العداء له ومحاولة قتاله (البلاذري، ١٩٥٩م، صفحة ١٩٠/ ج٥) ويروي المسعودي (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ١٠٩/ ج٣) ان الحسن بن علي (ﷺ) وبسبب الظروف الصعبة التي كان يمر بها قرر الصلح مع معاوية وخطب بالناس خطبة قال فيها ((ان الله هداكم بأولنا وحقن دمائكم بأخرنا ولي في رقابكم بيعة تحاربون من حاربت وتسالمون من سالمت وأنني قد بايعت معاوية فأسمعوا واطيعوا)) (ابن خياط، ١٩٩٩م، صفحة ٦٥/ ج١) وكما ذكرنا سابقاً فقد اطلق على العام الذي تنازل فيه الحسن (رض) عن الخلافة بعام الجماعة والذي شهد نهاية الصراع السياسي والعسكري بين الحسن ومعاوية بن أبي سفيان وقد اختلف المسعودي عن غيره من المؤرخين في الإشارة الى ذكر تسمية عام الجماعة. حيث لم يذكره بذلك الاسم وانما اكتفى بالقول بدلاً عن ذلك بجملة (الصلح بين الحسن (رض) ومعاوية) (المسعودي، ١٩٣٨م، صفحة ٢٦٠). وكانت هناك شروط فرضها الحسن (رض) على معاوية مقابل التنازل عن الخلافة منها ان يلتزم معاوية بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله محمد (ﷺ) وسيرة الخلفاء الراشدين وان لايعهد معاوية لأحد بالخلافة من بعده وان يكون الامر شورى بين المسلمين وان بأمن معاوية على الناس أنفسهم وأموالهم (البلاذري، ١٩٥٩م، صفحة ١٢١/ ج٥).

وأشار المسعودي (البلاذري، ١٩٥٩م، صفحة ٨/ ج٣) الى نبوءة الرسول محمد(ﷺ) المتبعة بالخطوة السليمة التي قام بها الحسن بقوله (ﷺ) ((ان ابني هذا سيد اهل الجنة وسيصلح الله به فئتين عظيمتين من المؤمنين)) (البلاذري، ١٩٥٩م، صفحة ٨/ ج٣)اشارة الى فرح معاوية بالصلح الى درجة انه بدأ بالتكبير ومن معه حتى وصلت التكبيرات الى كل ارجاء الشام. ومن جهة أخرى فقد حمل المسعودي (المسعودي، ١٩٣٨م، صفحة ٢٦٠) معاوية بن ابي سفيان مسؤولية استشهاد الحسن بن علي (ﷺ) مدعياً ان معاوية هو من كلف زوجة الحسن جعدة بنت الاشعث بأن تسمم الحسن مقابل إعطائها وعود بأن يعطيها مائة الف درهم وان يزوجها لأبنه يزيد الا انه لم يوف بعهده.

واراد المسعودي (البلاذري، ١٩٥٩م، صفحة ٢٢/ ج٢) بذلك تحميل معاوية مسؤولية وفاة الحسن (ﷺ) الا ان هذه الرواية لم يتم تأييدها او ذكرها من قبل الكثير من المصادر التاريخية وكان موقف المسعودي (البلاذري، ١٩٥٩م، صفحة ١٧/ ج٣) تجاه خلافة معاوية موقفاً سلبياً وانه لم يعترف بشرعية الخلافة حيث ذكر بأن الخلافة تنتهي بوفاة الحسن (ﷺ) ويستند في ذلك الى الحديث للرسول محمد (ﷺ) الذي يقول فيه "الخلافة بعدي ثلاثون

سنة" (البلاذري، ١٩٥٩م، صفحة ٨/ ج٣). وقد اسهب المسعودي في ذكر مدة حكم كل خليفة بشكل دقيق حتى يؤكد عدم مشروعية خلافة معاوية بن ابي سفيان وحسب حديث الرسول (ﷺ) انف الذكر.

بيد ان المسعودي (المسعودي، ١٩٣٨م، صفحة ٢٦٠) ناقض نفسه من خلال قوله في كتاب التنبيه والاشراف ان خلافة الحسن بن علي كانت سنة اشهر وثلاثة أيام وبينما ذكر في كتابه مروج الذهب (المسعودي، ١٩٣٨م، صفحة ٢٥٦) ان مدة خلافة الحسن بن علي (رضي الله عنه) كانت ثمانية اشهر وعشرة أيام وهذا تأكيد على عدم اقرار المسعودي بخلافة معاوية ولم يكتف المسعودي (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ١٢/ ج٣) بهذا القدر بل أدان أخطاء وتجاوزات معاوية بعدم التزامه بشروط الصلح الموقعة بينه وبين الحسن(رضي الله عنه) ومن مواقف المسعودي تجاه معاوية بن ابي سفيان هو الإشارة الى سياسة معاوية مع معارضيه في زمن الخليفة علي (رضي الله عنه) حيث قام معاوية بتصفية حساباته مع حجر بن عدي وكان هذا ايضاً اول خروج لمعاوية على الاتفاق الذي حصل بينه وبين الحسن (رضي الله عنه) فيما يخص حفظ دماء المسلمين (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ١٢/ ج٣).

وفي رواية أخرى ذكرت ان معاوية كان حسن السياسة والتعامل والتدبر لأمور الدنيا وكان عاقلاً (ابن الطقطقي، صفحة ١١٠). وفي رواية أخرى للمسعودي (المسعودي، ١٩٣٨م، صفحة ٢٦١) أشار الى حنكة معاوية وقوله عنه ((كان داهية ذا فكر ورأي وحزم لا يفوت فرصة تتاح له)) واتهم المسعودي (المسعودي، ١٩٣٨م، صفحة ٢٩/ ج٣) معاوية بن ابي سفيان باستخدام أسلوب الترهيب والترغيب عند اخذ البيعة لأبنه يزيد وتحويله مسار النظام الشوري الى نظام الحكم الوراثي.

ويذكر عبد اللطيف (عبد اللطيف، ٢٠٠٨) ان مسألة ولاية العهد هي من اكثر المسائل التي وجهت اليها الانتقادات بسبب الخروج عن النظام الذي اتبعه المسلمون في اختيار الخليفة من عهد الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) (١١-١٣هـ) حتى خلافة الحسن بن علي (رضي الله عنه) الذين كان اختيارهم بطريقة الشورى.

موقف المسعودي من ولاية العهد

تعتبر مسألة او قضية ولاية العهد من اهم القضايا البارزة التي تركت اثراً واضحاً على نهج الخليفة معاوية بن ابي سفيان من خلال الخروج عن العمل بنظام الشورى في اختيار الخلفاء والذي كان غير معمول به في العصر الراشدي الى نظام ولاية العهد او نظام التوريث في الخلافة (الماوردي، ٢٠٠٩، صفحة ٢٠) كما فعل الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (١٣-٢٣هـ) استبعاد ابنه عبد الله عن الخلافة (الطبري، ١٩٦٥م، الصفحات ٢٢٨-٢٢٩/ ج٤) واعتبر المسعودي (المسعودي، ١٩٧٦م، الصفحات ٢٩-٣٠/ ج٣) ان نظام ولاية العهد في العصر الاموي اصبح نظاما دستوريا ثابتا يسير عليه الامويون وجسد الخليفة معاوية بن ابي سفيان ذلك النظام من خلال اتخاذ ابنه يزيد ولياً للعهد سنة (٥٩هـ/٦٧٨م) ولم تكن فكرة ولاية العهد آنية بل كانت وفق خطة مسبقة حيث اخذ الخليفة معاوية العهد من وفود القبائل العربية التي وفدت اليه ومن اهم زعماء القبائل هؤلاء زعيم القيسية الضحاك بن قيس الفهري ويذكر المسعودي (المسعودي، ١٩٣٨م، صفحة ٢٦٢) قول الضحاك اني جالس من غد للناس فأتكلم بما شاء الله

فاذا فرغت من كلامي فقل في يزيد الذي يحق عليك وادع الى بيعته فأني قد امرت عبد الرحمن بن عثمان وعبد الله بن عفان الاشعري وثور بن معن السلمي ان يصدقوك في كلامك وان يجيبوك الى الذي دعوتهم اليه وقد أوردت مصادر تاريخية روايات تخالف ماجاء به المسعودي حول موضوع ولاية العهد منهم الطبري (الطبري، ١٩٦٥م، صفحة ٢٢٨/ ج٤) ان صاحب طرح الفكرة على الخليفة معاوية آنذاك هو والي الكوفة المغيرة بن شعبه الثقفي بعد ان وصلته اخبار بأن الخليفة معاوية يريد ان يعزله عن ولاية الكوفة ومن المرجع ان هذه الرواية هي الأقرب الى الصحة من سابقاتها وخصوصاً ان الخليفة معاوية اقتنع بقول المغيرة له ((أكفيك اهل الكوفة ويكفيك زياد اهل البصرة ليس بعد وليس بعد هذين المصرين احد يخالفك)) (الطبري، ١٩٦٥م، صفحة ٢٢٨/ ج٤).

ويؤكد عطوان (عطوان، ١٩٦٩، صفحة ٥١) ان معظم الروايات التاريخية تتفق على ان المغيرة بن شعبة الثقفي هو الذي أوصى الى الخليفة معاوية بن ابي سفيان بفكرة ولاية العهد وهو الذي أشار عليه بأن يرشح ابنه يزيد لهذا المنصب وتدل تلك الروايات على ان الخليفة معاوية قبل بفكرة المغيرة وعمل على البيعة لأبنه يزيد وعقد له العهد. ويضيف عطوان (عطوان، ١٩٦٩، صفحة ٥١) ليس ببعيد ان الخليفة معاوية فكر في استخلاف ابنه يزيد قبل ان ينبهه ويزين له ولكن طواه زمناً وجعل ينتظر الفرصة المؤاتية ليبوح به ويسعى فيه. فلما أشار به المغيرة راح يقدر لبلوغه بحذر شديد ودهاء كبير. بينما انفرد ابن كثير (ابن كثير، ١٩٧٢م، صفحة ٣٠٦/ ج١١) في روايته عن موضوع ولاية العهد حيث روى ان الخليفة معاوية بن ابي سفيان قد فكر في وقت مبكر بموضوع ولاية العهد وذلك بعد شهادة الحسن بن علي بن ابي طالب (ﷺ). اما الذهبي (الذهبي، ١٩٦٠م، صفحة ٣٩/ ج٤) فقد أورد ان الخليفة معاوية بن ابي سفيان دعا اهل الشام الى بيعة ابنه يزيد (٥٠هـ/) اما المؤرخين المحدثين فكان لهم رأيهم. الخاص في موضوع ولاية العهد وهذا الدوري (الدوري، ١٩٩٠، صفحة ٢٦٢) الذي يقول ان نظام الوراثة في عهد بني امية كان امتداداً لبعض تقاليد السيادة العربية التي سمحت لأن تكون الرئاسة في اسرة او عشيرة من القبيلة على ان تظل انتخابية فيها ولاتكون وراثية في بيت واحد.

ويروي لنا المسعودي (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٢٩/ ج٣) المشهد الذي تم فيه اخذ البيعة ليزيد بن معاوية وبحضور وفود القبائل العربية وفي هذا اللقاء قام معاوية وذكر محاسن ابنة يزيد وانه هو الاصلح. عندها قام الضحاك بن قيس فأجابه على بيعه يزيد. ولكن لم يكن الامر سهلاً هنا حيث هناك عهد في عنق معاوية وهو عودة الخلافة الى الحسن (رض) بعد وفاة معاوية (المسعودي، ١٩٣٨م، صفحة ٢٦٥)*. وروي ان الخليفة معاوية بن ابي سفيان بدأ بالترهيب والتهديد والوعيد لأخذ ولاية العهد لأبنه يزيد حتى قام رجل من الأزد وهو الشاعر مسكين الدارمي الذي أشار الى معاوية قائلاً له ((أنت امير المؤمنين فاذا مُت فأمير المؤمنين يزيد فمن ابى هذا فهذا فأخذ

* مسكين الدارمي: هو ربيعة بن عامر ويعرف بمسكين وهو شاعر من شعراء العرب وخطبائهم في العصر الاموي ولقب بالمسكين لانه قال في بيت شعر انا مسكين لمن انكرني.

بقائم سيفه فسله (ابن خياط، ١٩٩٩م، صفحة ٢١٧/ ج٢) وقد ايده في ذلك عدد من زعماء القبائل الموالية للخليفة معاوية بن ابي سفيان (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٢٩/ ج٣). وقد بذل الخليفة معاوية جهوداً كبيرة في سبيل الحصول على بيعة الناس لأبنه يزيد واستطاع تحقيق ذلك لكن دون تمكنه من الحصول على موافقة الحسين بن علي (ﷺ) وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن ابي بكر وعبد الله ابن الزبير وكان ذلك في مكة عندما ذهب معتمراً. وهناك هددهم بالقول "اقسم بالله اني واضعٌ على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين من حرسي فأن ذهب رجل منهم يرد علي كلمته... فليضرباه بسيفهما (ابن خياط، ١٩٩٩م، صفحة ٢١٢). ثم خرج الخليفة معاوية وخرجوا معه فصعد المنبر ثم حمد الله وقال: "وان هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لاينقضي أمراً إلا عن مشورتهم وانهم قد رضوا وبايعوا ليزيد ابن امير المؤمنين من بعده فبايعوا باسم الله وهناك رواية للبخاري تؤكد ان المبايعة اخذت قسراً من هؤلاء (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٢٩/ ج٣) بيد ان الخليفة معاوية بن ابي سفيان ارسل بكتب الى ولاته على الامصار يدعوهم فيها على مبايعة يزيد ومنهم والي المدينة مروان بن الحكم الذي رفض مبايعة يزيد وتوجه الى الشام لمقابلة الخليفة معاوية والذي استطاع أقناعه على قبول مبايعة يزيد على ولاية العهد قائلاً له "انت نضير امير المؤمنين وعدته في كل شدة وعضدة والثاني بعد ولي العهد (المسعودي، ١٩٧٦م، الصفحات ٢٩-٣٠/ ج٣) ثم رده الى المدينة لكن عزلة فيما بعد وولى بدلاً عنه الوليد بن عتبة بن ابي سفيان (المسعودي، ١٩٧٦م، الصفحات ٦٠-٦٤/ ج٣) ثم ارسل الخليفة معاوية كتاباً الى والي البصرة زياد بن ابي سفيان بطلب منه مبايعة يزيد لولاية العهد وجاء جواب زياد بالتريث وعدم التعجيل في ذلك (الطبري، ١٩٦٥م، صفحة ٣٠٢/ ج٥). وفي رواية ان سعيد بن عثمان بن عفان عندما سمع بتلك الاخبار ذهب الى الخلفية معاوية ليمنه ان يوليه فعاتبه وطلب منه ان يوليه بدل يزيد فقال له معاوية ((والله لو ملئت الارض رجالاً مثلك لكان يزيداً حب منكم كلكم)) وبالرغم من كل ذلك فقد استطاع معاوية ان يجعل ابنة يزيد ولياً للعهد بالرغم من رفض فكرة ولاية العهد من قبل اهم شخصية وهو الحسين بن علي (ﷺ) ومعه عبد الله ابن الزبير اللذان بقيا على موقفهما تجاه توليه العهد ليزيد بن معاوية وهنا يؤكد الماروردي (الماروردي، ٢٠٠٩، صفحة ١٦) ان ولاية العهد هو امر قد عرف من الشرح باجتماع الأمة على جوازه و انعقاده. وبعد وفاة الخلفية معاوية بن ابي سفيان وأفضى الامر ليزيد بن معاوية دخل منزله فلم ينظر للناس ثلاثاً فأجتمع ببابه أشراف العرب ووفود البلدان وامراء الاجناد لتعزيته وتهنئته بالأمر وفي اليوم الرابع خرج زياد وصعد المنبر وخطب قائلاً ((ان معاوية كان حبلاً من حبال الله مده ان يمده, ثم قطعه حيث أراد ان يقطعه وكان دون من قبله وخيراً ممن يأتي بعده, ولا يزكيه عند ربه وقد صار اليه, فإن يعفي فبرحمته وان يعاقبه فبذنبه, وقد وليت بعده الامر, ولست اعتذر من جهل ولا اشتغل بطلب علم, وعلى رسلكم, إذا كره الله شيئاً غيره, وإذا أحب شيئاً يسره)) (المسعودي، ١٩٣٨م، صفحة ٢٦٣).

وفي رواية للمسعودي (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٦٠/ ج٣) بويع يزيد بن معاوية في رجب سنة (٦٠هـ) وامتنع عنه بيعته الحسين بن علي (ﷺ) وعبد الله بن الزبير. وأشار المسعودي (المسعودي، ١٩٣٨م، الصفحات

٢٦٢-٢٦٣) ايضاً الى خروج اهل المدينة على الامويين رافضين بيعة الخلفية يزيد بالخلافة وقبامهم بطرد الاسر الاموية والوالي الاموي خارج المدينة. واستمر نظام ولاية العهد في العصر الاموي سارياً في البيت السفياني حتى وفاة الخلفية معاوية بن يزيد (معاوية الثاني) والذي لم يول احد ولاية العهد. حتى وصل الحال الى عدم وجود رئيس للدولة الاموية واصبح هناك فراغ سياسي. ولكن تدارك سادة بني امية الوضع الخطر فأجتمعوا وقرروا عقد اجتماع لترشيح خليفة أموي يستلم زمام الأمور (الريس، ١٩٩٦، صفحة ٨٧). وفعلاً تم ذلك من خلال عقد اجتماع الجابية (الحموي، ١٩٩٥م، صفحة ٣١٥/ ج٢)* (٦٤هـ/٦٨٣م) قرب دمشق ويذكر المسعودي (منيع، ١٩٥٧، صفحة ١٥١/ ج٣) تم عقد الاجتماع بوجود سادة بني امية وعلى رأسهم شيخ بني امية مروان بن الحكم فهو كبيرهم وسيدهم الذي تم ترشيحه للخلافة لتوفر الكثير من الشروط التي نؤهله لهذا المنصب منها كبر سنه ومكانته الاجتماعية وخبرته السياسية والعسكرية والإدارية وتقرر في الاجتماع ايضاً اختيار خالد بن يزيد وسعيد بن عمرو الاشدق وليا عهد للخليفة مروان. فأصبح مروان بن الحكم اول خلفية من البيت المرواني (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٨٠/ ج٣).

وبعد ان استقر الوضع للخليفة مروان بن الحكم واستلامه زمام الأمور استبعد خالد بن يزيد وعمرو بن سعيد بن العاص الاشدق عن ولاية العهد فوراً وإعطاء ولاية العهد لأبنه عبد الملك ومن بعده لأبنه الاخر عبد العزيز بن مروان (المسعودي، ١٩٣٨م، صفحة ٢٥٦) . وبعد وفاة الخلفية مروان بن الحكم تسلم الخلافة ابنة عبد الملك وحسب نظام ولاية العهد (البلاذري، ١٩٥٩م، صفحة ٢٦٠/ ج٦). وفي رواية (الطبري، ١٩٦٥م، صفحة ٣٠٢/ ج٥) ان الخلفية سليمان بن عبد الملك استخدم كتاب الوصية في وثيقة تثبت ولاية العهد من خلال العلماء مثل والزهري حيث اشهدهم الخليفة سليمان على ذلك فقرأ الزهري الوصية امام الناس قائلاً لهم "أرضيتم من سماه امير المؤمنين سليمان بن عبد الملك، فقالوا نعم فقرأ الكتاب فاذا باسم عبد العزيز ومن بعدهِ يزيد بن عبد الملك ولاة للعهد. فنتج عن ذلك حدوث مشاكل بين افراد الاسرة الاموية حيث رفض مروان بن محمد الاعتراف بولاية العهد التي منحها الخليفة يزيد بن الوليد لأخيه إبراهيم بن الوليد (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٨٨/ ج٣).

موقف المسعودي من انتقال الخلافة من البيت السفياني الى البيت المرواني:

اتضح مما سبق ذكره بأن معاوية بن ابي سفيان هو مؤسس الملك لبني أمية بعد حصوله على السلطة بعد مقتل الخليفة عثمان (ﷺ) والمطالبة بدمه مروراً بصراع الخليفة علي بن ابي طالب (ﷺ) على السلطة ومانتج عن ذلك في معركة صفين سنة (٣٧هـ/٦٥٧م). وسيطرة معاوية على الوضع في الشام وغرس قوته فيها ولكسب وأهلها وولائهم المطلق له نتيجة الاهتمام الخاص بهم من خلال الاعطيات الكبيرة والخدمات السخية لهم ومن ثم وبعد وفاة

* الجابية: تقع الى الغرب من مدينة نوى الواقعة في سهل حوران.

الخليفة علي(ﷺ) تمكن من انتزاع الخلافة من الحسن بن علي (ﷺ) بقوة السيف واخذ التنازل منه في مسجد الكوفة في عام الجماعة (المسعودي، ١٩٣٨م، صفحة ٥٦) . إضافة الى رغبة الحسن(ﷺ) التنازل بسبب موقف اهل العراق واصراره على إيقاف الصراع حفاظاً عن حقن دماء المسلمين ويبدو ان الخليفة معاوية بن ابي سفيان راودته فكرة ان البيت الاموي (السفياني) هو فقط من يصلح ان يكون الحكم بيده لذلك قرر وبعد توفر الأجواء المؤيدة له وبالرغم من المعارضة التي سبق وان ذكرناها ان يجعل ولاية العهد لابنه يزيد (البلاذري، ١٩٥٩م، صفحة ٢٦٠/ ج٦) الذي اصبح خليفة وبعد وفاته أصبحت الأمور اكثر تعقيداً حيث تأزمت الأوضاع خصوصاً بعد اعلان عبد الله ابن الزبير نفسه خلفية للمسلمين ومن ثم مجيء خلفية ضعيف وهو معاوية بن يزيد (معاوية الثاني) (٦٤هـ/٦٨٣م) الذي توفي بعد فترة قصيرة من حكمة دون ان يحقق انجازاً يذكر ولم يوص لأحد بولاية العهد بعده مما مهد للأسرة المروانية للتحرك نحو السيطرة على السلطة في خضم ظهور تطورات منها مبايعة اهل البصرة عبيد الله بن زياد الذي طلب من عامله على الكوفة مبايعة أهلها له ولكن اهل الكوفة رفضوا مبايعة عبد الله بن زياد قائلين ((لاحاجة لنا في بني أمية ولافي أمارة ابن مرجانة)) (المسعودي، ١٩٣٨م، صفحة ٢٥٦).

كما كتب عبد الله ابن الزبير الى اهل المدينة يدعوهم الى الخروج على بني أمية وهذا ماحدث حيث قال عوانه* بن الحكم ((فنفوا بعيالهم ونسائهم الى الشام)) (الذهبي، ١٩٦٠م، صفحة / ج٢٨٥). وفي نفس الوقت ثار زفر بن الحارث الكلابي في قنسرين حيث بايع عبد الله ابن الزبير وخرج حسان بن مالك الى الأردن و أستخلف روح بن زنباع على فلسطين وهو الاخر الذي بايع عبد الله بن الزبير (البلاذري، ١٩٥٩م، صفحة ٢٦٣/ ج٦)ويذكر الطبري (الطبري، ١٩٦٥م، صفحة ٥٣٠/ ج٥) ان قائد الجيش الاموي المحاصر لعبد الله ابن الزبير في مكة الحصين بن نمير (الذهبي، ١٩٦٠م، صفحة ١٥٠)* السكوني وعند وصول اخبار وفاة الخليفة يزيد ارسل الى عبد الله بن الزبير يدعو الى مبايعته ويدعوه الى الشام ليكون خليفة المسلمين. لكن ابن الزبير رفض هذا الطلب خوفاً من اهل الشام الذين ولائهم للأمويين كبير جداً.

عند ذلك رجع الحصين بن نمير الى الشام ووصلها ووجد فيها ارتباك كبير للامويين فقال لهم ((نراكم في اختلاف شديد فأقيموا أمركم قبل ان يدخل عليكم شأنكم فتكون عمياء صماء)). وفي خضم هذه الاحداث وبعد ان عقد مؤتمر الجابية تم اختيار مروان بن الحكم خليفة للمسلمين وهنا ايضاً كان هناك موقف للمسعودي (المسعودي،

---

* عوانة بن الحكم الكلبي مؤرخ كوفي واحد الفصحاء

* الحصين بن نمير السكوني: قائد عسكري في الدولة الاموية وكان يرافق القائد مسلم بن عقبة المري عند محاصرته المدينة المنورة في عهد الخليفة يزيد بن معاوية.

١٩٧٦م، صفحة ٧٦/ ج٣) تجاه اختيار مروان بن الحكم خلفية للمسلمين من خلال قوله ((كان مروان اول من اخذها بالسيف كرهاً على ماقيل)). وأول مشكلة واجهت الخليفة مروان بن الحكم هي سيطرة الضحاك بن قيس الفهري زعيم القيسية على الشام لأنه تولاها لعبد الله ابن الزبير. فقرر الخليفة مروان التوجه بالجيش الاموي نحو الشام لتحريرها من الجيش الزبيري حتى وصل الجيش قرب الشام وفي منطقة مرج راهط* (الحموي، ١٩٩٥م، صفحة ٢٩٩/ ج٥) والتي حصلت فيها معركة فاصلة بين الجيش الاموي بقيادة الخلفية مروان والجيش الزبيري بقيادة الضحاك بن قيس الفهري. واسفرت المعركة عن انتصار الجيش الاموي على الجيش الزبيدي ومقتل الضحاك بن قيس الفهري زعيم القيسية ومنذ تلك اللحظة وبمقتل زعيم القيسية الضحاك اشتعلت شرارة نار العصبية القبلية بين القيسية واليمانية التي كانت تساند الخلفية مروان (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٧٧/ ج٣).

وبعد انتصار الخليفة مروان وإعادة العاصمة الى حضن الخلافة الاموية قرر إعادة باقي المناطق الخارجة عن سيطرة الخلافة فأستطاع إعادة مصر (٦٥هـ/٨٨٥م) بعد القضاء على واليها عبد الرحمن بن جحدم الذي اجبر اهل مصر على مبايعة عبد الله ابن الزبير بالقوة (منيع، ١٩٥٧، صفحة ٤٤/ ج٧).

وفي رواية (اليعقوبي، ١٩٧٣م، صفحة ٢٦٠/ ج٢) فقد كان في تلك الفترة خليفتان يحكمان الدولة العربية الإسلامية مروان وابن الزبير وبعد وفاة الخلفية مروان سنة (٦٥هـ/٨٨٥م) تولى الخلافة في دمشق ابنه عبد الملك وحسب نظام ولاية العهد والذي ولد تحديات كبيرة شكلت خطراً على مستقبل الخلافة الاموية أهمها الخطر الزبيري والبيزنطي حيث استطاع تحييد الخطر البيزنطي من خلال عقد معاهدة معهم للتفرغ فيما بعد للقضاء على حركة ابن الزبير (ابن خياط، ١٩٩٩م، صفحة ٢٦٢) فقرر الخليفة عبد الملك تجهيز جيش كبير بقيادته وسار هو على رأسه متوجهاً الى العراق لملاقاة مصعب ابن الزبير وجيشه في دير الجالثيق* ودخول الكوفة وإعادة العراق الى حضيرة الخلافة الاموية (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٨٦/ ج٣).

وبعد استقرار الوضع عهد الخلفية عبد الملك بولاية العهد لأبنه الوليد (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٨٠/ ج٣) وسار بقية الخلفاء الامويين من الفرع المرواني على نفس النهج في مسألة ولاية العهد ونظام التوريث حتى اخر خليفة وهو مروان بن محمد الملقب مروان الحمار(١٣٢هـ/٧٥٠م) (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ١٤٣/ ج٣). وكان موقف المسعودي (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ١٥١/ ج٣) تجاه الخلفاء الامويين من الفرع المرواني واضحاً حيث أنتقدهم انتقاداً شديداً بسبب تمسكهم بنظام بولاية العهد ونظام الوراثة في الحكم وحتى سقوط الخلافة الاموية.

وبعد ان قضى الخليفة عبد الملك بن مروان على الحركة الزبيرية في العراق وقتل مصعب ابن الزبير عاد الى الشام قرر تجهيز جيشاً كبيراً بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي للقضاء على عبد الله ابن الزبير في مكة الذي

---

* مرج راهط: تقع في غوطة دمشق وذكر انها تقع في عذراء بنواحي دمشق وهي اشهر المروج.

وصلها وحاصرها وفيها ابن الزبير وبعد عدة أشهر من الحصار استطاع الجيش الاموي دخول مكة والقضاء على حركة عبد الله ابن الزبير (ابن عبد ربه، ١٩٣٥م، صفحة ٥١/ ج٤) وبذلك تخلص الخلفية عبد الملك من اخطر مجابهة واخطر خنجر في خاصرة الدولة الاموية بمقتل عبد الله ابن الزبير واتباعه. ثم استطاع الخليفة عبد الملك إعادة بقية أجزاء الخلافة الخارجة عن سيطرة الدولة وأعادة وحدة الدولة العربية الاسلامية (الكندي، ٢٠٠٣) وبعد استقرار الوضع في ارجاء الخلافة عهد الخليفة عبد الملك بولاية العهد لأبنه الوليد (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٩٤/ ج٣) ومن ثم سار بقية الخلفاء الامويين من الفرع المرواني على نفس النهج في مسألة ولاية العهد ونظام التوريث حتى اخر خليفة وهو مروان بن محمد الملقب مروان الحمار (المسعودي، ١٩٣٨م، صفحة ٢٧١).

وكان موقف المسعودي (الطبري، ١٩٦٥م، صفحة ١٦٠/ ج٤) تجاه الخلفاء الامويين من الفرع المرواني هو الانتقاد الشديد بسبب تمسكهم بنظام ولاية العهد ونظام الوراثة في الحكم والسير على نهج الخليفة معاوية بن ابي سفيان في الحكم وبرز اختلاف بين البيتين السفياني والمرواني في مسألة اختيار ولي العهد وجاء ذلك الاختلاف على أساس الكفاءة والعمر والحكمة ونسب ولي العهد من الام وغير ذلك من الأسباب. وكما ذكرنا فقد تم اختيار مروان بن الحكم خليفة على أساس كبر سنه وهو شيخ بني أمية إضافة الى خبراته السياسية والإدارية وذكر ابن عبد ربه (ابن الاثير، ١٩٥٦م، صفحة ١١٩/ ج٢) ان بني أمية من الفرع المرواني كانوا لا يبايعون بولاية العهد لأبناء أمهات الأولاد وقال ((لم يكن لذلك وهن وكانوا يرون ان زوال ملكهم على يد ابن ولد)) فلما تولي يزيد بن الوليد (الناقص) (١٢٦هـ/٧٤٣م) الخلافة ظن الناس ان ملك بني أمية سوف يذهب على يديه وكانت امه بنت فيروز بن يزدجرد ابن كسرى ويقول في ذلك "انا ابن كسرى وابي مروان وقيصر وجدي خاقان" (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٨٠/ ج٣) وهناك من لم يتم توليته ولاية العهد مثل مسلمة بن عبد الملك لأنه ابن امه جارية غير عربية بالرغم من كفاءة مسلمة العسكرية العالية ومكانته الكبيرة داخل البيت الاموي (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٩٤/ ج٣) كذلك الحال بالنسبة للخلفية سليمان بن عبد الملك الذي لم يول ابنه داود ولاية العهد لانه ابن امه (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٩٤/ ج٣).

ويبدو ان الخلفاء الامويين تأثروا بتقاليد السيادة القبلية التي كانت تمنع أبناء الاماء من السيادة وشعورهم بأن منصب الخلافة منصب رفيع لايتناسب مع تدني منزلة أبناء الاماء خاصة وانهم كانوا يرون ان زوال ملكهم سيكون على يد ابن امه وبالفعل كان ذلك على يد اخر خليفة اموي وهو مروان بن محمد ابن امه (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٤٣/ ج٣) إضافة الى ذلك فقد اكد وحرص الخلفاء الامويين على ضرورة تعلم ولاة العهد اللغة العربية واتقانها وهذا ماقاله الخليفة عبد الملك بن مروان لأبنه الوليد عندما عقد له ولاية العهد.

((وانهم لايلي امر العرب إلا من يحسن كلامهم)) (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٨٩/ ج٣) .

ثم اعترف الخليفة عبد الملك بتقصيره تجاه ابنه الوليد عندما لم يرسله الى البادية ليتعلم فصاحة اللسان وبلاغة الكلام وقال في ذلك ((أضرنا في الوليد حيث لم نوجهه الى البادية))

ووصف المسعودي (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٢٩٦/ ج٢) الخلفاء الامويين بالكثير من الاوصاف حيث وصف الخلفية يزيد بن معاوية بأنه صاحب طرب وجوارح وكلاب فيما وصف الخليفة الوليد عبد الملك بالجبار والعنيد (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ١١/ ج٣) ووصف الخليفة يزيد بن عبد الملك بصاحب الجواري (المسعودي، ١٩٧٦م، صفحة ٦٥/ ج٣).

الخاتمة:

تناولت الدراسة الأسس التي قامت عليها الخلافة الاموية, بما اعتمده مؤسسها الخليفة معاوية بن ابي سفيان, من منطلقات دينية لتبرير مقاصده السياسية, في فرض شرعية خلافته على مختلف القوى المعارضة التي شككت في احقيته: واستناداً الى هذا تناول البحث وجهة نظر الآخر في مسوغات الخلافة الاموية من خلال مؤلفات المسعودي, الذي خالف في بعض رواياته بما هو سائد في المصادر التاريخية مستهدفاً عرض وجهات النظر في التاريخ الاموي خاصة، لما افرزه من جدل بين التيارات الفكرية والسياسية.

واشار السمعودي الى عدم اعتراف معاوية بن ابي سفيان بخلافة الحسن بن علي (رض) بالرغم من القرار الشوري من قبل الصحابة (رضي الله عنهم) في احقية الحسن (رض) بالخلافة.

كما اختلف المسعودي عن غيره من المؤرخين ممن اوردوا روايات عن عام الجماعة الذي شهد نهاية الصراع بين معاوية والحسن وحيث قول المسعودي عن عام الجماعة (الصلح بين الحسن ومعاوية) وعدا قوله عام الجماعة باسمه المعروف.

وانتقد المسعودي الخلفاء الامويين من ابناء البيت المرواني انتقاداً لاذعاً بسبب تمسكهم بنظام ولاية العهد والوراثة في الحكم.

ونستنتج ايضاً مما سبق ان الخلفاء الامويين تاثروا بتقاليد السيادة العربية التي كانت تمنع ابناء الاماء من السيادة وتولية الخلافة لان منزلتهم ادنى من منزلة اقرانهم من ابناء الحرائر وأن من يتبوأ منصب الخلافة يجب ان يكون ذا منزلة رفيعة تتناسب وموقعه الاسري. حتى ان الامويون كان ينظرون الى مسألة مهمة الا وهي في قولهم ان زوال ملكهم سيكون على يد ابن أما.

المصادر

ابن سعد محمد (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م) منيع. (١٩٥٧). *الطبقات الكبرى* . بيروت: دار صادر.

ابن قتبة عبد الله بن مسلم الدنيوري. (١٩٦٣). *الامامة والسياسة*. القاهرة: مطبعة البابي الحلبي.

أبو الحسن علي بن محمد (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) الماروردي. (٢٠٠٩). *الاحكام السلطانية والولايات الدينية*. القاهرة : دار الحديث.

احمد بن ابي يعقوب بن جعفر (ت ٢٩١هـ/٩٠٥م) اليعقوبي. (١٩٧٣م). *تاريخ اليعقوبي*. (محمد صادف بحر العلوم، المحرر) النجف: المكتبة الحيدرية.

احمد بن داؤود (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) الدينوري. (١٩٨٩). *سير اعلام النبلاء*. (عمر عبد السلام تدمري، المحرر) بيروت: دار الكتاب العربي.

احمد بن محمد (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م) ابن عبد ربه. (١٩٣٥م). *العقد الفريد*. (احمد امين، المحرر) القاهرة: المطبعة الرحمانية .

احمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ/٩٠٩م) البلاذري. (١٩٥٩م). *انساب الاشراف*. (محمد حميد الله، المحرر) مصر.

حسين عطوان. (١٩٦٩). *النظم الإسلامية*. بيروت: دار الطليعة.

خليفة ت ٢٤٠هـ/٤٥٤م ابن خياط. (١٩٩٩م). *تاريخ خليفة ابن خياط*. (مصطفى نجيب، المحرر) بيروت : دار الكتب العلمية.

ضياء الدين الريس. (١٩٩٦). *عبد الملك بن مروان*. مصر: وزارة الثقافة.

عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) ابن خلدون. (د.ت). *العبر*. بيروت: مؤسسة الرسالة.

عبد الرحمن حسين العزاوي. (١٩٨٠). *المسعودي مؤرخاً*. بغداد: اتحاد المؤرخين العرب.

عبد العزيز عبد الكريم الدوري. (١٩٩٠). *الشورى في العصر الاموي* . بيروت : دار الجيل.

عز الدين إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م). ابن كثير. (١٩٧٢م). *البداية والنهاية*. (عبد الله عبد المحسن التركي، المحرر) مصر: دار هجر.

عز الدين علي بن محمد (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م) ابن الاثير. (١٩٥٦م). *الكامل في التاريخ*. بيروت: دار صادر.

علي بن الحسن بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) المسعودي. (١٩٣٨م). *التنبيه والاشراف*. (عبد الله إسماعيل الصاوي، المحرر) القاهرة المكتبة التاريخية.

علي بن الحسن بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) المسعودي. (١٩٧٦م). *مروج الذهب ومعادن الجوهر*. بيروت ، دار الاندلس.

علي حسين الخربوطلي. (د.ت). *المسعودي*. مصر: مكتبة الافاق.

محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) الذهبي. (١٩٦٠م). *الاخبار الطوال*. (جمال الدين الشيال، المحرر) القاهرة: دار احياء الكتب.

محمد بن اسحاق (ت٤٣٨هـ/١٠٤٧م) ابن النديم. (١٩٩٧م). *الفهرست*. (ابراهيم رمضان، المحرر) بيروت: دار المعرفة.

محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) الطبري. (١٩٦٥م). *تاريخ الرسل والملوك*. (محمد أبو الفضل إبراهيم، المحرر) دار المعارف.

محمد بن علي ابن طباطبا (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م) ابن الطقطقي. (بلا تاريخ).

محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ/ ٩٦٢م) الكندي. (٢٠٠٣). *تاريخ الولاة والقضاة*. (محمد إسماعيل، المحرر) بيروت : دار الكتب العلمية.

محمد عبد اللطيف. (٢٠٠٨). *العالم الإسلامي في العصر الاموي (دراسات سياسية)*. القاهرة: دار السلام.

ياقوت بن عبدالله (ت٦٢٦هـ/٨٩٨م) الحموي. (١٩٩٥م). معجم *البلدان*. بيروت: دار صادر.

Sources

Ibn Saad Muhammad (d. 230 AH / 844 AD) is immune. (1957). The major classes. Beirut: Dar Sader.

Ibn Qutba Abdullah bin Muslim Al-Daniyuri. (1963). Imamate and politics. Cairo: Al-Babi Al-Halabi Press.

Abu Al-Hasan Ali bin Muhammad (d. 450 AH / 1058 AD) Al-Marudi. (2009). Royal rulings and religious states. Cairo: Dar Al-Hadith.

Ahmed bin Abi Yaqoub bin Jaafar (d. 291 AH/905 AD) Al-Yaqoubi. (1973 AD). History of Yaqubi. (Muhammad Sadaf Bahr al-Ulum, editor) Najaf: Al-Haidariyya Library.

Ahmed bin Daoud (d. 282 AH / 895 AD) Al-Dinawari. (1989). Biographies of noble figures. (Omar Abdel Salam Tadmuri, editor) Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi.

Ahmed bin Muhammad (d. 328 AH / 939 AD), Ibn Abd Rabbo. (1935 AD). Unique contract. (Ahmed Amin, editor) Cairo: Al-Rahmaniyah Press.

Ahmed bin Yahya (d. 279 AH / 909 AD) Al-Baladhuri. (1959 AD). Genealogy of supervision. (Mohamed Hamidullah, editor) Egypt.

Hussein Atwan. (1969). Islamic systems. Beirut: Dar Al-Tali'ah.

Khalifa d. 240 AH / 454 AD Ibn Khayyat. (1999AD). History of Caliph Ibn Khayyat. (Mustafa Naguib, editor) Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Dia al-Din al-Rayes. (1996). Abd Al-Malik Bin Marwan. Egypt: Ministry of Culture.

Abd al-Rahman bin Muhammad al-Hadrami (d. 808 AH/1405 AD) Ibn Khaldun. (d.t.). Lessons. Beirut: Al-Resala Foundation.

Abdul Rahman Hussein Al-Azzawi. (1980). Al-Masoudi is a historian. Baghdad: Union of Arab Historians.

Abdul Aziz Abdul Karim Al-Douri. (1990). Shura in the Umayyad era. Beirut: Dar Al-Jeel.

Izz al-Din Ismail bin Omar (d. 774 AH/1372 AD). Ibn Kathir. (1972 AD). The beginning and the end. (Abdullah Abdul Mohsen Al-Turki, editor) Egypt: Dar Hajar.

Izz al-Din Ali bin Muhammad (d. 630 AH/1233 AD) Ibn al-Atheer. (1956 AD). Complete in history. Beirut: Dar Sader.

Ali bin Al-Hasan bin Ali (d. 346 AH / 957 AD) Al-Masoudi. (1938 AD). Warning and supervision. (Abdullah Ismail Al-Sawy, editor) Cairo Historical Library.

Ali bin Al-Hasan bin Ali (d. 346 AH/957 AD) Al-Masoudi. (1976 AD). Meadows of gold and gem minerals. Beirut, Dar Al-Andalus.

Ali Hussein Al-Kharboutli. (d.t.). Al-Masoudi. Egypt: Horizons Library.

Muhammad bin Ahmed bin Othman (d. 748 AH / 1347 AD) Al-Dhahabi. (1960 AD). Long news. (Jamal al-Din al-Shayyal, editor) Cairo: Dar Ihya al-Kutub.

Muhammad bin Ishaq (d. 438 AH/1047 AD) Ibn al-Nadim. (1997AD). Index. (Ibrahim Ramadan, editor) Beirut: Dar Al-Ma'rifa.

Muhammad bin Jarir (d. 310 AH / 922 AD) Al-Tabari. (1965 AD). The history of the apostles and kings. (Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, editor) Dar Al-Maaref.

Muhammad bin Ali Ibn Tabataba (d. 709 AH/1309 AD) Ibn al-Taqtaqi. (no date).

Muhammad bin Yusuf (d. 350 AH/962 AD), Al-Kindi. (2003). History of governors and judges. (Muhammad Ismail, editor) Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Mohammed Abdullateif. (2008). The Islamic world in the Umayyad era (political studies). Cairo: Dar es Salaam.

Yaqut bin Abdullah (d. 626 AH / 898 AD) Al-Hamawi. (1995AD). Dictionary of countries. Beirut: Dar Sader.